الكتاب: بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة

المؤلفون: مصباح اليزدي، عبد الكريم سروش، علي رضا قائمي نيا

الناشر: المعهد الإسلامي للمعارف الحكمية بالتعاون مع دار الهادي

الطبعة الأولى

التاريخ: ٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ

يعالج المؤلفون الثلاثة في مقالات منفصلة مقولة التعددية الدينية، فيرى اليزدي أن هذا المصطلح كنسي في نشأته كان يطلق على من يمارس عدة وظائف في الكنيسة ثم اكتسب معاني أخرى في سياق استخداماته الفلسفية والثقافية، فصار يدل على أحد معان، وهي:

١- المداراة والتسامح

٢- وحدة الدين في أصله واختلاف مظاهره وتجلياته

٣- عدم وجود حقيقة واحدة

٤- الحقيقة المنتشرة بين الأديان

يرى اليزدي أن المعنى الأول من هذه المعاني مقبول في الإطار الإسلامي وماعداه لا يتوافق وضوابط الدين الإسلامي، وهو ينطلق من مناشئ معرفية لا تنسجم مع النظرية المعرفية المقبولة إسلامياً. ولكن «**هذا النوع من التعددية لا يعني بالضرورة أننا نقول بالكثرة في عالم الحقيقة بل الكثرة إنما هي على مستوى الواقع الاجتماعي**»، و«**يختزن النوع الثاني من التعددية إشكالات أكثرها؛ أننا نواجه هنا تناقضاً**»، وهذه التعددية مستهجنة وغير مستساغة أبداً وهي أكثر إثارةً للتعجب».

وأما عبد الكريم سروش، فإنه يرى أن التعددية الدينية منتَجٌ فلسفي من منتجات العصر الحديث، ويرجعها إلى مبانٍ ومرتكزات متعددة، هي:

١- الاختلاف في فهم النص الديني. ويقول بأن هذا ما حاول البحث عنه في نظرية القبض والبسط التي أثارت جدلاً واسعاً لم يهدأ بعد.

٢- الاختلاف في تفسير التجربة الدينية.

٣- الاختلاف بين حقيقة الدين وجوهره ومظاهره.

٤- الطبقات المتعددة للحقيقة الواحدة.

٥- السير في طريق الحق بلا معلم وهاد.

وهذه المباني الثلاثة الأخيرة يستمدها سروش من جلال الدين الرومي الشاعر الإيراني المعروف. يقول المولوي:

«**إن الحرب بين أهل الجبر والقدر مستمرة إلى يوم الحشر. أيها الأب، فهم لا يفهمون تذوق الغم والآلام، فقد جعلوا ماء الحياة في الظلمات، فصح مثل البلبل على الوردة والأزهار، حتى تشغلهم بصيحتك هذه عن رائحتها...بل الحقيقة غارقة في الحقيقة؛ ولهذا صارت الفرق سبعين بل مائة وسوف أحدثك بما تريد، فانتبه أيها الصوفي وافتح أذن قلبك جيداً**».

٦- هداية الله والمراد أننا عندما نطلق صفة الهادي على الله لابد أن نوسع دائرة الناجين من الناس ولا نحصرهم بعدد قليل.

٧- عدم إمكانية العثور على شيء خالص وصافٍ في هذا العالم.

٨- التقارب بين الحقائق.

٩- التقارب بين القيم.

١٠- تعدد مصادر الإيمان وخلفياته.

كل هذه الأمور العشرة تعد بنظر سروش مبررات مقبولة للإذعان بالتعددية الدينية والرضا بها.

لم يقبل كثير من المفكرين الإيرانيين منطلقات سروش المعرفية والاجتماعية والدينية لنظريته في التعددية الدينية. فدُوِّنت عدة ردود عليها منها المقالة الثالثة المنشورة في الكتاب عينه.

يرى قائمي نيا أن نظرية التعددية عند سروش تقوم في أساسها على دعوى أن الأديان بأجمعها تساهم في تحقيق النجاة للإنسان، وهنا يطرح تساؤلاً أساسياً يواجه به نظرية التعددية، وهو ما الربط بين الاعتراف بكافة الأفهام المختلفة للدين وبين تعدد الأديان نفسها؟

وهكذا يبدأ بملاحقة مباني تعددية سروش والفحص عن منطلقاتها المعرفية؛ ليميز بالتالي بين نوعين من الأفهام:

أحدهما: فهم صحيح يمثل جوهر الدين.

ثانيهما: فهم غير صحيح. وبالتالي هو أجنبي عن الدين

ثم يطرح تساؤلاً مهما حول كون مولوي تعددياً، فيقرر أنه من الخطأ اقتطاع بعض الأبيات من شعر مولوي لنستنتج منها تعددية أو غير ذلك، بل لا بد من قراءة مولوي ضمن سياقه التاريخي الفكري. ومن هنا فإننا نجد مولوي في جانب آخر غير تعددي. يقول مولوي:

«لقد قال فرعون أنا الحق فصار ذليلاً
أما المنصور(الحلاج) فقال أنا الحق ونجا،
فتلك الأنا استتبعت لعنة
أما هذه الأنا فهي رحمة الله أيها المحب»

يعلق قائمي نيا على هذه الأبيات لمولوي ويقول: «**فإذا كان الدين تجربة اتحاد عرفاني، فليس فقط لا مجال لاستنتاج التعددية، بل إن أكثر المتدينين سوف يخرجون حينئذٍ عن دائرة الدين...**».

ويركز في رده على فكرة «الهادوية» لله فيقول: متى يصبح الله هادياً؟ هل عندما يأخذ بيد البشر ويجبرهم على السير في جادة الحق؟ أم يكفي لتحقيق وصف الهداية فيه تعالى أن يريهم الطريق ويرشدهم إلى الجادة؟ فيرى أن وصف الهادي يكفي الثاني في تحققه.

وعلى أي حال يغطي الكتاب موضوعة من أحدث الموضوعات التي شغلت الفكر الإسلامي في إيران في الفترة الأخيرة ولا تزال، ومن المفيد للمكتبة العربية أن تطرح فيها هذه الأفكار لعل قرع الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة يولد جديداً.